الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليـم العـالي والبحـث العلمـي

BADJI MOKHTAR - ANNABA UNIVERSITY
UNIVERSITE BADJI MOKHTAR - ANNABA

جامعة باجي مختار - عنابة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات في مقياس:

اللّسانيات العربيّة

المستوى: سنة أولى ماستر (تخصّص: **اللسانيات العامة**)

إعداد الدكتورة: نسيمة قّطاف

السنة الجامعية: 2020/2019

المحاضرة (4): تصنيف الكتابة اللسانية العربية

إن الحديث عن اللسانيات العربية الحديثة هو حديث عن اللسانيات بمفهومها العلمي الحديث الذي يقدم دراسة علمية للغات البشرية على تنوعها بحيث تخضع لمقتضيات البحث العلمي وشروطه، باتباعها أساليب المنهج العلمي من ملاحظة ووضع للفرضيات وفحص وتجريب وموضوعية وما إلى ذلك، وبالتالي فنحن نتحدث عن اللسانيات التي أسس لها دو سوسيير في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" وما لحقها من تطورات إلى يومنا هذا. لذلك نستبعد الخطاب اللغوي النهضوي وكذا الاستشراقي الذي تبنى المنهج التاريخي والمقارن.

ونعتمد في تصنيف المنجز اللساني العربي أو الجهود اللسانية العربية المعايير التي اقترحها مصطفى غلفان في كتابه "اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية"، وتتمثل هذه المعايير في: الموضوع والمنهج والغاية.[1]

1- **الموضوع:** عالج اللسانيون العرب أحد الموضوعات الثلاث الآتية:

أ- **النظريات اللسانية الكبرى:** مناهجها وأعلامها ومبادؤها وغير ذلك.

ب- **التراث اللغوي العربي القديم:** من حيث إنه تصورات ومفاهيم ومصطلحات وطرق تحليل.

ج- **اللغة العربية الفصحى ولهجاتها:** قديمها وحديثها.

2- **المنهج:** اتبع اللسانيون العرب في معالجة الموضوعات السابقة أحد المناهج الآتية:

أ- **المنهج التعليمي التبسيطي:** الذي يروم تقديم المعرفة اللسانية للقارئ العربي ونشرها في الثقافة العربية.

ب- **منهج القراءة:** أو إعادة القراءة.

1- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 4، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، د ت، ص 90.

ج- **المناهج اللسانية الحديثة:** المعروفة في المشهد اللساني العام مثل المنهج الوصفي أوالتفسيري أو التاريخي أو المقارن أو التقابلي.

3- الغاية: تستهدف الكتابات اللسانية العربية ما يلي:

أ- تبسيط المعرفة اللسانية وتقديمها للقارئ العربي.

ب- التوفيق بين التراث اللغوي العربي القديم واللسانيات الحديثة والتقريب بين مضامينها.

ج- تقديم توصيف وتفسير جديدين للغة العربية ولهاجتها.[1]

وباعتماد هذه المعايير الثلاثة يمكن تصنيف المنجز العربي إلى ثلاثة أصناف/ وهي:

1- اللسانيات التمهيدية:

يتشكل موضوع هذا الصنف «مما تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة».

وتعتمد المنهج التعليمي التربوي الذي يعتمد التوضيح والتبيان والشرح والأمثلة والرسوم البيانية، وتستهدف تقديم المعرفة اللسانية الحديثة للقارئ العربي وتيسيرها بشكل يمكن للقارئ الإفادة منها، سواء القارئ المتخصص في اللسانيات أو الذي يرغب في استثمار هذه المعرفة في مجالات أخرى لها علاقة بالنشاط اللغوي الأنساني.[2]

2- لسانيات التراث:

ويتخذ هذا الصنف من الكتابة التراث اللغوي العربي القديم من حيث إنه تصورات ومفاهيم ومصطلحات وطرق تحليل موضوعاً له معتمدا منهج القراءة أو إعادة القراءة؛ حيث يُقرأ التراث على ضوء اللسانيات الحديثة بغرض التوفيق بين المنجزيْن التراثي القديم واللساني الحديث، والتقريب بين مضامينهما.[3]

1- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص 91.

2- المرجع نفسه، ص 91.

3- المرجع نفسه، ص 92.

3- لسانيات العربية:

وهي الكتابات التي اتخذت من اللغة العربية أو احد لهجاتها موضوعا لها، ووصفها أو تفسيرها في مختلف مستوياتها المعروفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وتتوسل لسانيات العربية في مقاربتها اللغة العربية وفق المناهج اللسانية الحديثة المعروفة في اللسانيات، وتسعى إلى تقديم وصف وتفسير جديديْن لبنيات اللغة العربية على نهج غير معروف في الثقافة العربية القديمة وفق ما توصل إليه البحث اللساني العام.[1]

1- المرجع نفسه، ص 92.

المحاضرة (5): الكتابة اللسانية التمهيدية (1)

إنّ اللسانيات في الثقافة العربية، بمفهومها العلمي الحديث، ليست تطورا ذاتيا للدرس اللغوي العربي القديم، بل هي غربية المنشأ، ارتبط ميلادها بعملية التثاقف بين الفكر اللغوي العربي والفكر الغربي الحديث[1]، فلا يمكننا –نحن العرب- إلاّ أن نقرّ بأن اللسانيات الحديثة هي محض العقلية الغربية التي أنشأتها[2]. وبالتالي فهي معرفة وافدة شقت طريقها إلى الثقافة العربية منذ أربعينيات القرن الماضي مع عودة الطلبة **المصريين** المبتعثين إلى الجامعات الأوروبية الذين تخصصوا في علم اللغة الحديث أو اللسانيات الحديثة.ولأن هذه المعرفة وافدة فقد كانت بحاجة إلى تأليف تمهيدي يبسّط هذه المعرفة ويقدمها للقارئ العربي. وقد كان اللسانيون العرب على وعي بهذه الضرورة؛ حيث أفردوا «جزءا بارزا من نشاطهم لتقديم النظرية اللسانية وعرضها، أي تقديم ذلك الخط النظري الذي ارتبطت به اللسانيات العربية ارتباطا وجوديا للقارئ العربي».[3]

وقد تم عرض المعرفة السانية عىل القارئ العربي من خلال نوعين من النشاط:

1- الترجمة:

تمثل الترجمة جسرا أساسيا لنقل المعارف والعلوم بين الشعوب، وقد ثبت عبر مختلف العصور أن خطى التطور تمضي من خلال حركات ترجمية كبرى، تنقل الشعوب الناهضة خلاصة ما توصلت إليه الحركة الفكرية والعلمية والأدبية والفنية لدى الشعوب الأكثر تقدما.

1- ينظر: مصطفى غلفان، واقع اللسانيات في العالم العربي، مجلة البيان، مجلة أدبية ثقافية شهرية تصدر عن رابطة الأدباء، الكويت، العدد 400، نوفمبر 2003، ص 20..

2- ينظر: مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1988، ص 351.

3- فاطمة البكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في صور النشاط اللساني العربي، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 22.

وقد اعتمد اللسانيون العرب الترجمة كوسيلة لنقل المعرفة اللسانية للقارئ العربي ونشرها في الثقافة العربية. ويمكن أن نميّز بين مرحلتيْن مرت بهما الترجمة.

أ- المرحلة الأولى:

وتبدأ منذ ترجمة أول عمل لساني والمتمثل في مقال لأنطوان مييه سنة 1946، ترجمة: محمد منذور، ثم كتاب "اللغة" لفندرايس، ترجمة: محمد القصاب وعبد الحميد الدواخلي سنة 1950، وتبعته ترجمات أخرى لمجموعة من المقالات والدراسات[1]. إلى غاية نهاية سبعينيات القرن الماضي وبدايات الثمانينيات من القرن نفسه. وكانت الترجمة في هذه المرحلة بطيئة جدا، فلم يترجم في هذه المرحلة إلا عشرون عملا بين كتاب ومقال، وكل الأعمال المترجمة في هذه المرحلة يمكن إدراجها تحت اللسانيات البنيوية، مع غياب تام لأهم المؤلفات التي أسست للسانيات الغربية، فلم يترجم مثلا كتاب دوسوسير "محاضرات في اللسانيات العامة" الذي شكّل ثورة في حقل الدراسات اللغوية وأسس اللسانيات الحديثة، وكتاب تروبتسكوي المؤسس للفونولجيا الحديثة "مبادئ الفونولوجيا" وكتاب "البنى التركيبية" لتشومسكي المؤسس للنظرية التوليدية التحويلية، والذي شكّل ثورة ثانية بعد تلك التي احدثها دوسوسير في حقل الدراسات اللغوية. كما أن أغلب الأعمال المترجمة أو النصوص المترجمة وبخاصة المتقدمة منها لا تنتمي إلى البنيوية بمعناها الصرف، فبعضها ينتمي إلى الفيلولوجيا وبعضها الآخر ينتمي إلى اللسانيات الاجتماعية وهكذا.[2]

ب- المرحلة الثانية:

تبدأ من ثمانينات القرن الماضي إلى يومنا هذا، وهي المرحلة التي عرفت انتعاشا نسبيا من حيث الكم المترجم، ومن حيث الكيف أيضا، حيث بدأت الثقافة العربية تنفتح على بقية الاتجاهات اللسانية الأخرى، فكانت البداية بالانفتاح على النظرية التوليدية التحويلية ثم الوظيفية والتداولية وأخيرا اللسانيات العرفانية. فقد ترجمت في هذه المرحلة التي شكلت ثورة في حقل الدراسات اللسانية على غرار كتاب "محاضرات في اللسانيات

1- ينظر: فاطمة البكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 30.

2- للمزيد من التفاصيل، ينظر: المرجع نفسه، ص 30-31.

العامة" لدوسوسير الذي تُرجم سنة 1985 وكذا كتاب تشومسكي "البنى التركيبية" الذي تُرجم سنة 1987، وتوالت بعض الترجمات الأخرى على غرار "اللغة ومشكلات المعرفة"، و"آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن" لتشومسكي، وكتاب "الغريزة اللغوية" لستيف بنكر، وغيرها من الدراسات.

ورغم هذا الانتعاش النسبي إلا أن الترجمة إلى العربية تبقى ضئيلة جدا، وما يُترجَم لا يصل بأي حال من الأحوال إلى تجسير الهوة القائمة بين الغرب والعَرب في هذا المجال، كما أنها «لا تواكب كل الإصدارات اللسانية الحديثة خاصة منها تلك التي تشكل نقاط تحول في الدرس اللساني العام».[1]

1- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص 173.

المحاضرة (6): الكتابة اللسانية التمهيدية (2)

اعتمد اللسانيون العرب في عرضهم المعرفة اللسانية التأليف أكثر من اعتمادهم على الترجمة كما لاحظنا سلفا. فإذا كان عدد الأعمال المترجمة إلى غاية نهاية السبعينيات من القرن الماضي قد بلغة حوالي **عشرين (20)** عملا بين مقال وكتاب، فقد بلغ عدد المؤلفات في الفترة نفسها ما يقارب الخمسين كتابا مؤلفا. ويبدأ التأليف بكتاب "علم اللغة" لعلي عند الواحد الوافي إلى يومنا هذا؟ فاللسانيات التمهيدية التي تعرض المعرفة اللسانية تبقى مستمرة باعتبار التطور المستمر والمراجعة الدائمة للنماذج اللسانية الحديثة كما نعلم.

وتمثّل الكتابات التمهيدية في الكتابات التي ستهدف تقديم المعرفة اللسانية –كما ذكرنا- منذ نشأتها في الثقافة العربية ونجد هذا الصنف من الكتابة في مختلف الاتجاهات اللسانية بدءاً بالبنيوية والوصفية مرورا بالتوليدية التحويلية واللسانيات الوظيفية (وظيفية سيمون ديك) والتداولية وصولا إلى اللسانيات العرفانية. وعلى غرار الترجمة يمكن التمييز بين مرحلتيْن في التأليف التمهيدي أو الكتابة اللسانية التمهيدية:

أ- المرحلة الأولى:

تبدأ بظهور أول كتاب في اللسانيات –سواء أكان كتاب علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي أم كتاب الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس- إلى نهاية السبعينيات وبداية ثمانينيات القرن الماضي، وكان التأليف في هذه المرحلة مركّزا على البنيوية وخاصة الأوروبية منها باعتبار السبق الزمني للبنيوية وتتلمذ الرواد الأوائل في اوروبا. وأهم الكتابات في هذا المجال نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "مناهج البحث في اللغة"، و"اللغة بين المعيارية والوصفية" لتمام حسان، و"علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي" لمحمود السعران، و"محاضرات في اللغة" لعبد الرحمن أيوب، و"الألسنية العربية" لريمون طحان، وغيرها من الكتابات التي حملت لواء عرض المعرفة اللسانية في توجهها البنيوي للقارئ العربي.

ب- المرحلة الثانية:

وتبدأ بنهاية سبعينيات القرن الماضي وبداية الثمانينيات، وقد عرفت هذه المرحلة نشاطا متنوعا في التأليف التمهيدي بفعل انفتاح اللسانيين العرب على النظريات اللسانية الأخرى. فقد انفتحوا على اللسانيات التوليدية التحويلية وكذا الوظيفية والتداولية وأخيرا اللسانيات العرفانية. فقد برز في هذا النوع من التأليف ميشال زكريا ومازن الوعر ومحمد علي الخوالي والفاسي الفهري وغيرهم، ممن برز في عرض النظرية التوليدية التحويلية، وكذا أحمد المتوكل في الوظيفية، والأزهر الزناد والبوعمراني في مجال اللسانيات العرفانية، وغيرهم من اللسانيين الذين تولوا مهمة عرض المعرفة اللسانية الحديثة للقارئ العربي.

وقد ساهمت هذه الكتابات بشكل إيجابي وعملي في تقريب اللسانيات إلى القارئ العربي سواء كان مثقفا عاديا أو طالبا متخصصا في العلوم اللسانية أو مهتما بمجال معرفي آخر. لقد نجحت هذه الكتابات في مهمتها التاريخية محققة بذلك هدفها الأساسي في نشر الفكر اللساني الحديث داخل الأوساط الثقافية العربية[1]، غير أن هذا لا يمنع من الإقرار ببعض جوانب القصور المنهجي الذي شاب هذا الصنف من الكتابة خاصة عند الوصفيين العرب، وأهمها:

1- الارتباك في تحديد مجال البحث اللساني على غرار معالجة قضايا لسانية تعود إلى القرن التاسع عشر تحت مسمى "اللسانيات الحديثة" بمفهومها السوسيري، ومعالجة قضايا تنتمي إلى مجالات معرفية استقلت عن اللسانيات على غرار اللسانيات الاجتماعية والنفسية وما إلى ذلك[2]. وهذا ما يعيبه مصطفى غلفان علي بعض الكتابات الوصفية[3]، ومن أمثلة ذلك:

1- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص 106.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 108.

3- ينظر: عبد الصبور شاهين، علم اللغة العام، ص 7 ، وينظر مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 147.

يقول عبد الصبور شاهين في تحديده مصطلح اللسانيات: «أما المعاني التي حددوها لمصطلح Linguistique:

- الدراسة المقارنة والتاريخية للغات كالنحو المقارن والفيلولوجيا المقارنة.
- العلم الحديث الذي موضوعه اللغة في ذاتها ولذاتها وينضوي تحته كل المصطلحات المعروفة: علم اللهجات Dialectologie، وعلم الاشتقاق Etymologie والنحو والمعجم Lexicologie والصرف Morphologie والإعلام Onomastique والفيلولوجيا Philologie وعلم الأصوات العام Phonétique وعلم الأصوات التشكيلي Phonologie وعلم الدلالة Sémantique وعلم الأسلوب Stylistique وأسماء البلدان Toponymie، وهناك علم اللغة التاريخي Linguistique historique وعلم اللغة الوصفي Linguistique descriptive.....

2- غياب تقنيات التحليل اللساني خاصة في الدراسات الوصفية التي لم تقدم عرضا تفصيليا لتقنيات التحليل اللساني إنما أشارت إليها الكتابات الوصفية بشكل سطحي وعرضي.

3- عدم مواكبة تطور النظريات اللسانية وما عرفته من تطورات على مستوى مختلف النماذج، سواء البنيوية أو التوليدية التحويلية أو اللسانيات العرفانية.

4- غياب الربط بين ما تقدمه الكتابة اللسانية العارضة للمعرفة اللسانية وبين اللغة العربية، حيث تعتمد هذه الكتابات أمثلة مأخوذة من اللغات الأجنبية، ويقل اعتمادها على الأمثلة العربية. ويعطي عدم الانشغال بأمثلة من اللغة العربية الانطباع لدى القارئ العربي عامة والمبتدئ على وجه الخصوص أن

هذه المبادئ المعروضة عليه لا تمس اللغة العربية في شيء ولا تنطبق عليها وبالتالي لا تهمها[1].

غير أن هذا لا يعني أن الكتابة التمهيدية العربية تخلو من كتابات دقيقة وجادة، بل هناك كتابات استطاعت أن تجمع بين دقة العرض والاطلاع الواسع على المصادر اللسانية الكبرى والأسس النظرية والمنهجية خاصة الكتابات التي ظهرت في ثمانينيات القرن الماضي إلى يومنا هذا على غرار كتابات عبده الراجحي وميشال زكريا ومازن الوعر ومبارك حنون والسفروشني والمتوكل والأزهر الزناد ومصطفى غلفان وغيرهم.

ونأخذ في هذا السياق نموذجا من النماذج التي استطاعت أن تقدم صورة واضحة عن اللسانيات الحديثة، ويتمثل هذا النموذج في "مصطفى غلفان" في كتابيْه: "اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات"، وكتابه "اللسانيات التوليدية التحويلية".

ففي كتابه "اللسانيات البنيوية: منهجيات واتجاهات" الذي يعد تتمة كتابه السابق، فقد عرض مصطفى غلفان الإطار النظري والمنهجي للبنيوية بدءًا بتحديد الأصول الفكرية والمعرفية للنظرية والأسئلة المطروحة حول الظاهرة اللغوية مبينا كيف تغيّر التفكير اللغوي بتغيّر طبيعة هذه الأسئلة، من خلال ما طرحه دوسوسير من تساؤلات منهجية حول اللسان وطبيعته ومواصفاته وكيفية اشتغاله وما إلى ذلك؛ بمعنى أنه رصد التحول المنهجي من حيث يجب أن يبدأ؛ ذلك أن المعرفة –حسبه- تبدأ بالتساؤل عن طبيعة الأشياء وتحديد كنه الموضوعات التي تبدو ملامحها ذات أبعاد إشكالية في نظر العلماء.

كما عرض أيضا التعدد النظري والمنهجي في المدرسة البنيوية مع إبرازه أوجه الائتلاف وأوجه الاختلاف بين مختلف الاتجاهات البنيوية. وفي السياق نفسه قدّم صورة واضحة ومفصلة عن تقنيات التحليل اللساني الوصفي؛ فقد خص فصلا كاملا للمتن اللغوي، حول مواصفاته وكيفية إعداده وما إلى ذلك، دون أن يغفل المتن اللغوي في اللغة العربية، وما

1- ينظر: المرجع السابق، ص 120.

يطرحه من إشكالات في اللسانيات العربية. كما خص مستويات التحليل اللساني بفصل مستقل مع اعتماد المستوى الصرفي أنموذجا، وختم تقديم تقنيات التحليل بتخصيصه فصلا كاملا للتحليل البنيوي للجملة معتمدا أمثلة توضيحية من اللغة العربية.

كما قدّم صورة واضحة عن أبرز اتجاهات اللسانيات البنيوية بشقّيها الأوروبي والأمريكي، منطلقا من عرض مفاهيم دوسوسير وما طرحه من تصورات حول الظاهرة اللسانية باعتبارها شكلت فرشة للسانيات الحدية ومرجعا لا محيد عنه للمدرسة البنيوية؛ وعرض مدرسة جنيف وحلقة براغ والغلوسيماتيكية ووظيفية مارتيني، هذا فيما يخص المدرسة الأوروبية، أما المدرسة البنيوية الأمريكية، فقد عرض بداية الأصول المعرفية والفكرية لهذه المدرسة والمدرسة التوزيعية ورواد اللسانيات البنوية الأمريكية.

وأما في كتابه "اللسانيات التوليدية التحويلية" فقد استطاع مصطفى غلفان أن يقدم لنا صورة واضحة وشاملة عن اللسانيات التوليدية التحويلية من حيث الأسس الفلسفية والعلمية واللغوية التي تأسست عليها النظرية التوليدية التحويلية؛ حيث بين للقارئ العربي كيف استفاد تشومسكي من تصورات "ديكارت" ونحاة "بور رويال" بالدرجة الأولى، وكذا "هومبولت" وهو يؤسس لهذه النظرية وكيف أثرت أفكارهم في بلورة رؤية جديدة للظاهرة موضوع الدراسة وكذا في بلورة المفاهيم الأساسية في نظريته في بدايتها على غرار فكرة البنية السطحية والبنية العميقة، وإبداعية اللغة وما إلى ذلك. كما عرض أيضا الأسس العلمية والمعرفية لهذه النظرية وكيف استطاع "تشومسكي" أن ينقل اللسانيات من التصور التصنيفي الاستقرائي إلى التصور الافتراضي الاستنباطي الذي يتأسس على مجموعة من الفرضيات التي يمكن اختبار مدى كفايتها الوصفية والتفسيرية في ضوء المعطيات المتوافرة حول الظاهرة. مما يعني أن هذا التحول هو تحول إبستيمي.

كما قدّم لنا صورة واضحة عن المفاهيم الأساسية في النحو التوليدي التحويلي على غرار مفهوم النحو ومفهوم المقبولية والحدس وثنائية القدرة والإنجاز. كما قدم لنا مختلف النماذج التوليدية التحويلية من خلال رصده للتطورات المتلاحقة لهذا الأنموذج بدءًا من

نموذج البنيات التركيبية وصولا إلى البرنامج أدنوي مع رصده لعوامل التحول أو الانتقال وأسبابه وما تم تجاوزه من مفاهيم وما تم احتواؤه، وكذا مختلف الفاعلين في هذا التحول مع اعتماد أمثلة من اللغة العربية بالدرجة الأولى، كما خص قسما من الكتاب لتطبيقات متنوعة على اللغة العربية.

وقد قدّم مختلف النماذج والنظريات سواء في المدرسة البنيوية أو التوليدية التحويلية بأسلوب بسيط وواضح يجمع بين التبسيط والعمق دون أن يخل بالمضامين العلمية للمفاهيم التي أوردها في كتاباته.

المحاضرة (7): لسانيات التراث

وتشمل الدراسات التي عنيت بقراءة أو بإعادة قراءة التراث اللغوي من حيث أنه تصورات وأفكار على ضوء اللسانيات الحديثة: ومن غاياته قراءة هذه التصورات قراءة هذه التصورات والأفكار وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث والتوفيق بين نتاج الفكر اللغوي العربي القديم والنظريات اللسانية الحديثة، وإخراجها في حلة جديدة، تبين قيمتها التاريخية والحضارية.[1]

فالتقريب بين مضامين المنظومين إذا (التراثية والحداثية) يتنزّل في إطار إبراز إسهامات العرب في الدرس اللغوي الإنساني[2]، خاصة في ظل التهميش الذي طال هذا التراث من كبار العلماء الغربيين الذين أرّخوا للفكر اللغوي الإنساني بالإقصاء تارة، أو التطرق إليه باقتضاب بشكل لا يعكس قيمته العلمية والمعرفية تارة أخرى، كما فعل روبينز وجوليا كريستيفا وجورج مونان وغيرهم.

غير أن المنحى الذي اتخذته جل الدراسات اللسانية التراثية القائم على المقارنة في إطار المسعى التوفيقي بين المنجزيْن والتقريب بين مضامينها حاد عن المسعى المصرح به سلفا، وهو ما تكشف عنه هذه الكتابات التي تسعى إلى «إثبات السبق لعلماء العرب القدامى على اللسانيين المعاصرين في كل ما جاؤوا به، حتى أصبح الفكر اللساني المعاصر عنده من قبيل تحصيل الحاصل، أو أقر أنه حاشية محدثة على متن قديم».[3]

1- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية، ص 92.

2- ينظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986، ص 34.

3- سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة (دراسات ومناقشات)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004، ص 30.

أصناف الكتابة اللسانية التراثية:

يمكن تقسيم الكتابات أو الدراسات اللسانية التراثية بحسب موضوعها إلى ثلاثة أصناف[1]:

1- القراءة الشمولية:

ويتمحور هذا النوع من القراءة حول التراث اللغوي العربي في كليته، وما يتصل به من قضايا على غرار:

- بوادر الحركة اللسانية عند العرب لعبد الجليل مرتاض.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية لعبد السلام المسدي.
- النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب للصغير محمد بناني.
- أصول الألسنية عند العرب لصحي الصالح.
- التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث لحسام البهنساوي.

وغيرها من الدراسات التي تمحورت حول التراث في شموليته والتي تستهدف البحث في النظرية اللغوية عند العرب، لا من حيث هي تقنيات نحوية وصرفية وبلاغية ومعجمية وإنما من تنظير للظاهرة اللسانية عموما.

2- القراءة القطاعية:

وهي التي تتمحور حول قطاع معيّن من التراث اللغوي، كأن يتناول الباحث المستوى النحوي أو الصرفي أو الدلالي باعتبارها مستويات تحليل تشكل في حد ذاتها نظرية محددة المعالم تقوم على مبادئ منهجية خاصة بها، ومن أهم الدراسات في هذا المجال:

- المفاهيم النحوية في الدرسيْن العربي التراثي والغربي المعاصر، محمد عبد العزيز عبد الدايم.

1- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية، ص 136-137. وينظر: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، طَ، 2009، ص 136-137-138.

- التفكير الصوتي عند العرب بين الأصالة والتحديث، صلاح الدين قناوي.
- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر عبد الجليل.
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى.
- مصطلح التعليق: مفهومه وأثره في الدراسات اللغوية، راجي راموني.

3- قراءة الأنموذج الواحد:

وهي القراءة التي تتمحور حول شخصية لغوية عربية قديمة بدراسة فكرها وطريقة تصورها وكيفية تناولها لقضايا اللغة العربية في مجال من مجالات البحث اللغوي[1]، ومن أمثلة ذلك:

- السليقة اللغوية بين ابن جني وتشومسكي لعبد الله الجهاد.
- التفكير اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني لنور الدين محمد دنياجي.
- النحو بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي لخليل عمايرة.

وغيرها من الدراسات اللغوية التي اهتمت بتتبع جهود علم من أعلام الدراسات اللغوية في ضوء اللسانيات الحديثة.

وقد انتهت هذه الدراسات إلى وجود أصول لسانية بمختلف نماذجها في التراث اللغوي العربي القديم، من ذلك ما توصل إليه حسام البهنساوي، الذي أقرّ أن الفكر العربي له «فضل السبق في كثير من القضايا والمباحث اللغوية، التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث، سواء أكانت هذه المناهج الوصفية البنيوية التي تربعت على عرش الدراسات اللغوية الحديثة زمنا ليس بالقصير، منذ ان أصّل معطياته اللغوي السويسري دوسوسير، في أوائل القرن العشرين، أم كانت هذه المناهج التوليدية التحويلية أحدث

1- المرجع السابق، ص 137.

المناهج اللغوية الحديثة وأدقها، والذي نال من الشهرة والذيوع والاهتمام قدرا كبيرا في الربع الأخير من القرن العشرين.[1]

وقد وجهت العديد من الانتقادات لهذا الصنف من القراءة، ذلك أن القراءة تعتمد أساسا تأويل النصوص واستنطاقها، بيد أن هذا الاستنطاق يتم عادة بعزل النصوص عن سياقاتها الأصلية، إنها «لا تنظر إلى المقروء كما هو في شموليته وكليته ولحظاته التاريخية، إنها لا تهتم بالتراث إلا في إطار ما تستهدفه من وراء عملها ممارسة نوعا من الانتخاب والانتقاء ونزع النصوص عن سياقها التاريخي ثم إعادة زرعها في سياق جديد وإسقاطها على الماضي (إلى الوراء) وعلى المستقبل (إلى الأمام) وعن التأويلات الحرفية أو الباطنية والمبالغات المعنوية»[2]. إن ما يمكن أن يؤخذ عن هذه القراءات هو:

- إن هذه القراءات قائمة بين نسقين معرفيين مختلفين لكل منهما مرجعياته وأسئلته وأهدافه.
- الانتقائية والاحتراز والإسقاط المفاهيمي، ومرده البحث عن مظاهر التماثل والتقارب بين الأفكار والتصورات الموجودة في المنظومتيْن، فهم لا ينظرون إلى التراث في شموليته أو كبنية معرفية، بل يعمدون إلى انتزاع النصوص من سياقاتها الفكرية والتاريخية لتبرير وجهة نظرهم وتسويغ آرائهم دون مراعاة للخلفية المعرفية للمنظومتيْن.
- إن هذه القراءات تجعل من اللسانيات المعيار الثابت والصحيح الذي يحكم على صواب الأفكار الواردة في التراث اللغوي، وكأن شرعية هذا الأخير محكومة بالنظر إلى الدرس اللساني الحديث. إنها قراءة تقوي التراث بالاستدلال المنقول من الأفكار اللسانية الحديثة.

ورغم الانتقادات الموجهة إلى هذا الصنف من الكتابة اللسانية العربية إلا أنه يشغل حيزا كبيرا من إسهامات اللسانيين العرب.

1- حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 7.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية، ص 147.